الوسامة في ديوان الوسمي "على عتبات الضوء"

تكمن الوسامة في هذا الديوان من عنوانه وترتيب أبوابه وجمال قصائده. فالحرف "على" يفيد الاستعلاء واستخدامه هنا حسي لأن الضوء ليس له ظهر، وهناك استعمالات أخرى له كالاستعمال المعنوي والاستعمال الظرفي. والعتبة هي المرقاة وبداية السلم أو البداية لدخول الباب، كما تشير إلى ذلك صورة الغلاف. والضوء معروف. فكأن الشاعر يوحي إلينا أن ديوانه بالرغم من جماله و وسامته إلا أنه باكورة أعماله وأن استعلائه وتمكنه من شكم لجام الشعر لدليل على الآتي من العطاء. جمال الترتيب والتبويب: هنا أيضا وفق الشاعر الوسمي في تبويب ديوانه. فلقد جاء التبويب متناغما ومتماشيا مع العنوان.

*عتبة الغزل: كما أن العتبة بداية ومرقاة للشيء فغزلي ليس له حدود وهو كالضوء ينتشر كما تنتشر الشمس في أنحاء المعمورة. وتعرفه قوافي الشعر وبحور الشعر قبل أن يعرفه المحبوب. تعرفه الآفاق والأجواء قبل الأقطار والأنحاء.

أنا (الوَسميُ) تعرفُني القوافي ... يُرتل عالمي وحيُ الجـــمَالِ وتعـلُو الشّـُهبُ في فلكِ اعتِلائي ... ويرقُبُ موعدي قلبُ الهلالِ أرى شِـعـــري تُـــغـازِلُه الـــثريا ... وتسْـألني متى يَـــومُ الوصالِ

ومن فرط وسامة الشعر وجمال بيانه تتلهف الثريا التي إن قلنا مجازا عن المحبوب فما أجمله من تشبيه وهل هناك أجمل من الثريا، أن يتغزل فيها شاعرنا الوسمي. وإن أخذناها على الحقيقة لا المجاز فياله من اختيار موفق إذ ترى الحياة والحركة والحس في هذا المخلوق إذ ينتظر من يتغزل فيه. كذلك الشهب والهلال. هنا ايضا صورة جمالية رائعة في قصيدة أنا أهواك. حينما يخاطب محبوبته وهو معتزا ومفتخرا ومتباهيا بأنه عصاميٌ في الشعر فهو بنى شعره بذاته لأجل أن تسكن محبوبته وَلَهاً وحُباً وطمأنينةً ارتياحاً. وكلمة السكن تحتوي على كل معاني الراحة، ولقد جاء في الذكر الحكيم: " ليسكن إليها". هذه المحبوبة التي استدعاها لتسكن حصون شعره ليست ككل الناس بل هي شيء آخر، هي الطينة التي خلق ا منها شاعرنا الوسمي. وهنا منتهى الذوبان في المحبوب بل جعل كيانه المادي والمعنوي كله هيَ:

بنيتُ حصُونَ أشعاري بذاتي ... تعالي واسكُني وَلَهاً حُصُوني فسبحان الذي سوّاكِ حُسناً!! ... وقال اُ: للوسميّ " كُوني "

إن ابداع الشاعر يكمن في توظيف وتطويع كل انواع الشعر...وهذا ما تلمسه في شاعرنا الوسمي...فهو يبرع في شعر التفعيلة " الشعر الحر " كما يبرع في الشعر العامودي بدون تكلف ولا تصنع. صورة من الجمال الشعري هنا في قصيدة " عالَـمٌ فاتِـن". هذه المحبوبة التي تختال بجمال عينيها وبريق نظراتها تأسر كل ذي لب فهي لم تأسر الوسمي فقط وتصرعه أرضا بناظريها " ما أجمل كلمة بارقها، اشارة إلى جمال لمعان عينيها وتوهجها "، بل اسرت جميع الرجال. تعال معي لنقف على هذه الصور الغزلية الجميلة ولنتخيل أنفسنا مكان الوسمي لنرى ما تفعل بنا هذه الأنثى:

وكم ترمي بوسْع العينِ رُوحي؟! وتقـذفُـني بنظرتِـها نِـبالُ .... هيَ الأنثى.. وتحكمُ بافـتِـتانٍ وتهوي عند بارقِـها الرجالُ ... أحاديثُ الهوَى تحكي هواها وعن (ليلايَ) كم قالوا وقالو؟! ... انا الموسومُ عشقاً في هواها ويخضعُ لي بضحكتِـها المُحالُ

لن نطيل الاستغراق في عتبة الغزل وإن كانت جميلة وجاذبة لكي لا نسرق متعة قراءة الديوان من القارئ، فهناك قصائد جميلة فيها صور شعرية رائعة وفيها ذوق غزلي رفيع تنبيك عن براعة الشاعر في اختيار المفردات والتشبيهات والمجاز والخيال الشعري. لقد احتوت عتبة الغزل على ٤٤% من صفحات الديوان مما يدل على شفافية وجمال روح شاعرنا الوسمي.

وهنا ليَ وقفة قصيرة، لطالما كان أبا حيدر يتحفني بأبياتٍ غزلية جميلة في الطبيعة والمحبوبة وفي غيرها من الأغراض الشعرية وكنت اعلق عليها بالثناء الجميل والإعجاب وكان يبادلني الثناء والشكر مما يدل على قلبه الجميل الذي يحتوي الجميع. *عتبة الرثاء: كما يكمن الجمال في اظهار الفرح والسرور كذلك يكمن في اظهار الحزن واللوعة والأسى على فراق الأحبة، مما يؤدي بالنتيجة بذكر صفات المرثي وبعطائه والتغني بإنجازاته وسيرته العطرة. شاعرنا الوسمي لم يكن بدعا من الشعراء، فهو كما برع في عتبة الغزل كذلك بدع في عتبة الرثاء...وكما قلنا في مقدمة القراءة أن معنى العتبة هي المرقاة والدخول إلى أفق اوسع وأجمل. هذا ما لمسته في براعة وجمال قصائد الرثاء في هذه العتبة. لقد قرأت قصائد رثاء جميلة جدا وموفقة للشاعر الوسمي بعد طباعة هذا الديوان وهذا دليل واضح على تألق ورقي شاعرنا وتطور قريحة الشعر لديه. يكفي أن تعطي شاعرنا الوسمي سيرة عن شخصية من الشخصيات وإن بعدت عنه عقودا من السنين ليخرج منها بمرثية ذات صور شعرية جميلة جدا. هذا ما عايشناه شخصيا مع الشاعر الوسمي حينما طلبنا منه المشاركة في حفل الشيخ العلامة الشيخ باقر بوخمسين بمناسبة مرور ٣٠ سنة على رحيله. لم يبخل علينا الوسمي بل شارك بقصيدة جميلة في العنوان وحلوة في البيان: باقر الإشراق: في سيرة العلامة الشيخ باقر بوخمسين قدس سره عالما وفقيها وأديبا.

مَا زِلـــت تَـبـعـثُ في الـدّنَا الأضوَاءَ ... والشمسُ تحرزُ باسْمِكَ العَلياءَ يا باقِـرَ الإشـــراقِ.. نـبـعـُـكَ أنجُـــمٌ ... تَـــزهُو وتكْـــتسِحُ الظّلامَ بهـاءَ يا ابنَ الأكارمِ وابنَ " مُوسى" والعُلى ... أشرَقـــتَ شمْساً أحْيـَـتِ الآباءَ وأباً بـــعـطـفِـك كُـنـت تـغـدِقُ حـانـــياً ... ولك العَـمَـائـمُ أضحتِ الأبـنـاءَ وبَـذلـــــتَ عُـمْـرَكَ للعـــلـوم وللـــتّـــقى ... ما راحَ إرثُك في الزّمانَ هباءَ

لا أخال بيتا من بيوت أهالي الأحساء لم يتفجع برحيل صاحب الرسالة العظمى سماحة الشيخ عيسى الحبارة رحمة ا عليه في يوم فقده الأليم. هذا العالم الشيخ ولج إلى قلوب الآلاف من المؤمنين والمؤمنات. كان حقا على الشعراء والأدباء أن ينبروا لرثائه وتأبينه. شاعرنا الجميل أبا حيدر يرسل " حمم الشجى " قصيدة لتسطر في ديوان العرب قبل أن تسطر في عتبات الضوء. قصيدة وُفـِقَـتْ في جمال القافية والمعنى والصورة:

" عِيسى ".. ويَـبزُغُ في كَيانِكَ "عِيسى" ... وصَـدَى حـــدِيـثِـكَ يلهـم التّقدِيسا كلمَـاتـُك الحُـبْـلى بـهـــديـِكَ كـوْثـرٌ ... وتُـعـيـدُ للـدّنـيـَا مـعَـاجِـزَ "مُوسى" أنـــتَ الـمُـجـلّـَـلُ بالـمَـآثِـرِ قـُدوَةً ... وبـَعـثـتَ من وحي الهـدى "إدريـسا" لكَ صُـورة ٌعـكَـسَـتْ ملامِحَ أحمدٍ ... وبكَ الـسّجـايا.. حطّمتْ " إبـليسا " ومَـلأتَ دُنـْيـانَا العـصِـيّةَ بالـتّـُـقَى ... وأضأتَ فِكرَك في الدّجُى " فانـوسا" قـــد صَـاغـَكَ الـقُـدّوسُ تُـحـفـةَ آيِهِ ... وإلـــيه رُحـــتَ مُـعـطّـــما قَـديسا

اقتباس موقف من الكتاب الكريم في هذه القصيدة الجميلة لأربعة أنبياء بسجاياهم وأخلاقهم ومعاجزهم فالكلمات: (كيانك عيسى.. معاجز موسى.. الهدى ادريسا...ملامح أحمد) اضفت حركة وحياة خالدة لهذه القصيدة. كما كان التوفيق في مطلع القصيدة بالاقتباسات الجميلة، جاء الختام بصيغة " فعيل للمبالغة لهذا العبد الصالح الشيخ " عيسى " بالصلاح والطهارة باستخدام صفة القديس . * عتبة الإخوانيات: في العتبة الثالثة وهي عتبة الإخوانيات والمناسبات نرى جمال الشاعر في توظيف هذا النوع من أدب الإخوانيات كفنٍ بارزٍ، له خصائصه الفارقة التي تميزه عن الألوان الأدبية الأخرى، تشترك معه في اعتمادها على التواصل والتبادل. وتهدف إلى مدّ أواصر الصداقة وتوطيدها بين الأهل والأصدقاء والأدباء والشعراء، إلى جانب كشفها للطاقات الإبداعية التي يحشدها الشاعر لإثبات إتقانه للمحاورات والمناظرات أمام الآخرين. ما أجمل أن تفتح هذه العتبة بإخوانية لأقرب الأرحام وهي الأم. هذا ما فعله الوسمي، ملبيا نداء حديث من أحق الناس بحسن الصحبة يا رسول ا: قال أمك. في قصيدة " أمي " أنشودتي التي لا تخبو أبدا:

أمّي وأنـــــتِ جِـنـَانُ اللهِ عَظّمَها ... بالفضلِ والحبّ ِ والإجلالِ والقَدرِ سِـرٌ خَـفيٌ منَ الأسرار والـدتي ... قد خَـصّـَكِ اللهُ حُبّ َ الصفوةِ الغُررِ بدمعةٍ مِنكِ تخبُو النارُ وانكشَفـِتْ ... مِن عِطفِ قلبِكِ دوماً لوعَةُ الكَـدَرِ

هنا اقتباس جميل لحديث " الجنة تحت أقدام الأمهات، وتأصيلا لهذا المعنى بالشعر.

هناك جمال آخر لقصائد الإخوانيات وهي إخوانيات الأصدقاء إذ أنها تعزز روح الأواصر بين الأصحاب والأصدقاء، بل تمتد إلى العشيرة والقرية. هذا ما رام إليه شاعرنا الجميل ناصر وهي لفتة جميلة منه. جاءت هذه اللفتة في قصيدة خَطِيبٌ بثوبِ البهَاء في جناب الشيخ علي الحجّي:

أنتَ الخطِيبُ الشاعِـرُ الفَـذّ ُ الـذي ... أهـدَى مَعِـينَ الحُـبّ ِ للشّـعَـرَاءِ بيـن القُـرَى قـد كُـنتَ ريِفَ حُـقُـولِـنا ... تـَـنْسابُ نَبـعاً من عـُيُون المـَاءِ " الجَرنُ" و" الطّـَرفُ" العَزِيزةُ أُختُها ... يحـلُوَ هَـوى السّـَمْراءِ والشقْـراءِ هَـذاَ انـتـِمـاؤكِ لـلجـمـالِ مُـقـدّسٌ ... مثلَ انـتـِمـَاء النّـخْلِ " للأحسَاءِ"

انظر كيف وظف الوسمي هذه الإخوانية ليرقى بعتبة الصحبة والمحبة والصداقة من النطاق الضيق الفردي إلى النطاق الأوسع " الجرن" والطرف". *عتبة البلدان: وسامة هذه العتبة تنطلق من عدة عوامل - عامل حب الوطن من الإيمان - عامل الانطلاق إلى العلاقات الشاملة - عامل الولاء للوطن كما قلنا سابقا نكرره لاحقا في هذه العتبة ينطلق الشاعر من الحب المحدود إلى الحب الا محدود. من حب الوطن إلى حب البلدان، لذا نرى الشاعر لا يقتصر على وطنه فقط بل يتعداه إلى دول الخليج بل إلى الدول العربية الأخرى "يا أيها الناس إناخَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا".

وطني: المملكة العربية السعودية وطني تألّـَقَ في تخوم الدّ ُنيا ورُبَاهُ خُلدٌ عشْتُ فيهِ وأحيا ... وطني أطيرُ بشأوِهِ نحو الذّ ُرَى وبرملِهِ النبويّ ِ أهوى المشيا ... هي موطني وأنَا بغيرِ ترابِها مُتشردٌ في البُعد أرعى النّفيا

وفي قصيدة الكويت يتغنى الشاعر بهذه الأبيات:

فهذي الكويتُ ربيعُ الوجُود ... فيَا أيّ ُها المَجْدُ.. عَـرّ ِجْ هُـنا فهذي الكُويتُ التي

تـزْدهي ... بِـحُسْنٍ، وفـيها يزُولُ العَـــنا

- ومن قصيدة على ضفاف نهر النيل تنساب هذه الأبيات الرقراقة: مِصر الجَمالِ لكِ الأشواقُ تندلقُ... " نيلاً "، وكُلُ جَمالٍ منكِ يـنْدفِـقُ وأنتِ " يوسفُ" حُسْنٍ مَنْ لهُ مُهجٌ...أضْحَتْ " زُليخةَ" بالأشواقِ تحترِقُ بـنيـْتِ في الروحِ أهْـراماً مُـشيـدةً... تغَـــارُ مِنْها السّما، والـنّجـْمُ والأفُـقُ

توظيف الاقتباسات في هذه الأبيات الجميلة تجعل القصيدة ذات حياة متحركة فيها وفي قارئها.

تجد في هذه العتبات:

وسامة الشاعر

وسامة القصيدة

وسامة الجملة

وسامة الكلمة

وسامة التشبيه

وسامة الاقتباس

وسامة المعنى

وسامة الصفة في هذه العتبات أضواء جميلة اتحفنا بها الشاعر الجميل أبا حيدر ناصر الوسمي. كلي ثقة بأن الشاعر يمتح من عين شعر صافية ولم يخرج ما في جعبته من فنون وأغراض الشعر....نتمنى له دوم الألق ومزيدا من الإصدارات.